مراجعات في الكتب

تنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر:
للإمام أبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحيه الكلبي (ت. ١٢٥٣م)

دراسة وتحقيق: البروفيسور لطفي منصور (٢٠٠٥)، تقديم: جورج قنازع
مركز دراسات الأدب العربي، بيت بيرل

من المعروف أن موضوع الخمر قد خصّه الكتّاب بمؤلفات نثرية أدبية مستقلّة بروافدها المختلفة والتي تعود إلى القرون الوسطى، نخص بالذكر المؤلفات ذات الاتجاه الديني والمؤلفات في حقل الأدب الجميل حيث نعثر على فصل أو فصلين في موضوع الخمر. بينما في كتب مختلفة نعثر على أسماء الخمر وأنواعه، وكذلك أوصافه، نذكر على سبيل المثال كتاب "زهر الآداب وثمر الألباب" للحصري، و"قطب السرور في وصف الانبذة والخمور" للقيرواني، و"نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري. فضلا عن المؤلفات العديدة التي تشير إلى آداب شرب الخمر، أو ما يسمى آداب الندمم التي استوعبتها البيئة العربية من بيئات أخرى، خاصة البيئة الفارسية، مثل "مطالع البدور" للغزولي، وأدب الندمم لكشاجم الرملي، و"التاج في أخلاق الملوك" المنسوب للجاحظ ومؤلفات أخرى في هذا المضمار. وقد تناول الباحث يوسف سدان هذه المسالة في مقالته في مجلة *הספרות* سنة ١٩٧٤، وكذلك في "مادة خمر" في *دائرة المعارف الإسلامية* (New Edition)، بالاضافة إلى مجلة *Annales* عام ١٩٧٠.

يضم الكتاب الذي اشرنا إليه أعلاه ثلاثة فصول بالإضافة إلى النص المحقق والفهارس المختلفة. وما يلفت النظر لدى القارئ البحث الموسع والمستفيض في الفصول المذكورة، مما

يشير إلى الجهد الكبير الذي قام به لطفي منصور في هذا المضمار، إذ قلما نجد في كتاب محقق مثل هذا التقديم من حيث سرد المعلومات القيمة من كتب التراث على اختلاف أنواعها، أدبية ودينية وموسوعية.

يتناول الفصل الأول من الكتاب فكرة الخمر كما وردت لدى الشعراء في الفترة الجاهلية، والمعاني التي تضمنتها، وفق سياقاتها الشعرية المختلفة، ثم يستطرد المؤلف لسرد الآيات والأحاديث والروايات التي تحرّم الخمر بعد ظهور الدين الإسلامي الحنيف، رغم وجود مواقف مختلفة بالنسبة لشرب النبيذ، نذكر على سبيل المثال الحنفية في العراق، والمالكية في بلاد الحجاز التي حرمت كل مسكر.

أما في الفصل الثاني فيتناول الباحث مسألة تحريم الخمر في الإسلام، كما ورد الأمر في القرآن الكريم، ولدى الفقهاء المسلمين، فضلا عن الأحاديث التي وردت في السنة النبوية.

ويتناول الباحث في الفصل الثالث مؤلف الكتاب نفسه وهو احد أعلام الأندلس البارزين، ويشير إلى رحلاته المختلفة في طلب العلم، ويذكر أيضا شيوخه من الرجال والنساء، مثل ابن بشكوال والسهيلي الضرير، وكذلك ممن تتلمذ على يده نعني شيوخه. أما الأماكن التي زارها في طلب العلم فنذكر المغرب وإفريقيا ومصر والشام والعراق.

وفي مواضع مختلفة من هذا الفصل ينوّه محقق ودارس الكتاب إلى أمور متعددة منها التجريح الذي وجه لابن دحية، كنسبه وضعف روايته والمبالغة في نقله للروايات المختلفة. و مؤلفاته المتنوعة الدينية منها والتاريخية، والكتب التي ألفت في سبيل التعريف بأسماء الخمر، منها ما ورد لدى ابن دحية الكلبي، ومنها من قبل المحقق، ككتاب "أسماء الخمر واشتقاقها" لأبي القاسم النحوي البصريّ، وكتاب "الجليس الأنيس في أسماء الخندريس" للفيروزبادي.

وأورد الباحث مصادر ابن دحية في كتابه، وهي بالإضافة إلى الرواية السماعية، فثمة الكتب اللغوية، والدينية كالأسانيد والصحاح، ومختلف التفاسير القرآنية القديمة والمتأخرة نسبيا.

لم ترد في الكتاب جميع أسماء الخمر، فقد ورد لدى ابن دحية في مقدمة المخطوطة مائة وتسعون إسما بينما يشير لطفي منصور انه عثر في المخطوطة على مائة وستة وستين إسما فقط. ولم يكتف ابن دحية في ذكر أسماء الخمر وإنما أسهب في شرح معانيها، من المعاجم اللغوية المختلفة، فضلا عن استعانته بالأخبار والقصص والإشعار ابتغاء شرح مختلف الأسماء.

وفي النهاية لا بد من الإشارة إلى أن الكتاب ليس بمثابة تحقيق للمخطوطة فحسب، كما نعهد لدى أغلب الباحثين العرب، وإنما دراسة علمية مستفيضة قبل إيراد النص الكامل للمخطوطة (مخطوطة ليدن) حول مسالة الخمر. ثم لا بد أيضا من أن نشير إلى الملاحظات الهامشية الكثيرة والمتنوعة في الكتاب، منها كترجمة للأسماء، ومنها إشارة الى مقارنة النص بمؤلفات أخرى، ومنها ملاحظات لغوية في غاية الأهمية. ويكفينا ذكر الفهارس التي وردت في نهاية التحقيق للأسماء والأماكن والشواهد الشعرية.

غالب عنابسة